

جامعة النجاح الوطنية
معهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها
مشروع التخرج - SOAS



عنوان المشروع
العنصرية البيئية في الضفة الغربية:
العنف البطيء من قِبَل المستعمرات الصناعية

إعداد

فيلدا هيليرين

إشراف

أحمد رأفت غضية

عدد الكلمات

3426

في عام 1982 نجح سكان المدينة الإسرائيلية كفار سابا في رفع دعوى مطالبة ضد مصنع المواد الكيماوية الزراعية "جيشوري" لانتهاكه القانون البيئي.¹ بعد خمس سنوات من إغلاقه، فتح المصنع ثانية في مستعمرة صناعية في مدينة طولكرم في الضفة الغربية، ومنذ ذلك الحين أصبحت معدلات الإصابة بالسرطان في طولكرم من أعلى المعدلات في الضفة الغربية، كما زادت معدلات الأمراض التنفسية والجلدية بشدة.² في السنة ذاتها التي أغلق فيها مصنع جيشوري أنشأت وزارة الصناعة والتجارة ست مستعمرات صناعية في الضفة الغربية. وقد قال الوزير غدعون بات "إننا ندفع المصانع إلى هناك، فهي لا تسقط من السماء، إنها تأتي بسبب التشجيع."³ في الفترة نفسها تقريباً، ظهر مفهوم العنصرية البيئية كرد على سياسات تمييزية عرضت مجتمعات الأقليات لأخطار بيئية. وقد تطور هذا المفهوم لاحقاً ليصف نظم دولية من الظلم البيئي مثل نقل النفايات الخطرة عبر الحدود، التلوث الصناعي من قبل الشركات متعددة الجنسيات والاستغلال الامبريالي للموارد الطبيعية. يستهدف هذا المشروع تحليل الطرائق التي يتعرض بها الفلسطينيون في الضفة الغربية للعنصرية البيئية على يد الاحتلال الإسرائيلي، على سبيل المثال المستعمرات الصناعية، وتحليل الهياكل التي تمكّن هذه العنصرية وكيف يستفيد الاقتصاد الإسرائيلي منها. يقال إن العنصرية البيئية شكّل من أشكال العنف البطيء الذي ينتشر عبر الزمن، فهو يحرم الفلسطينيين من مصادر عيشهم، ويُجردهم من أراضيهم ومواردهم ومن ثم يضر بإمكانية إقامة دولة فلسطينية مستقلة. سوف أقدم هنا لمحة عامة عن العنصرية البيئية ونقاشاً عن السبل التي يتجلى بها في فلسطين مع التركيز على قضية المستعمرات في الضفة الغربية، بالإضافة إلى تحليل دراستين فرديتين عن المستعمرات الصناعية: نيتزاني شالوم في مدينة طولكرم وبركان في محافظة سلفيت.

العنصرية البيئية: نظرة عامة

ظهر مفهوم العنصرية البيئية في الثمانينيات في الولايات المتحدة الأمريكية كجزء من حركة الحقوق المدنية استجابة لتعرض الأمريكيين من أصل أفريقي بشكل غير متناسب للتلوث الصناعي ومواقع النفايات السامة. ويعرّفها أحد رواد نظرية العنصرية البيئية روبرت بولارد بأنها "أي سياسة، ممارسة أو توجيه يجحف أو يؤثر بشكل مختلف (سواء متعمداً أو غير متعمد) على أفراد أو مجموعات أو مجتمعات بشكل قائم على أساس العرق أو اللون"⁴. يدعي بولارد أن العنصرية البيئية عنصرية مؤسسية تنفذها مؤسسات حكومية وقانونية واقتصادية وسياسية وعسكرية. تسبب هذه العنصرية توزيعاً غير متكافئ للأعباء البيئية مثل المصانع، مواقع النفايات السامة وخطوط أنابيب النفط وكذلك توزيعاً غير متكافئ للمزايا البيئية، نحو الامساحات الخضراء، المياه النظيفة والهواء النقي. وبصورة

¹ Julia Chaitin, et. al., "Palestinian and Israeli Cooperation in Environmental Work during the "Peace Era," *International Journal of Politics, Culture, and Society* 17, no. 3 (2004): 532.

² Danya M. Cato and Ruhan Nagra, "Environmental and public health effects of polluting industries in Tulkarm, West Bank, occupied Palestinian territory: an ethnographic study," *The Lancet* 382, accessed June 5, 2018, [https://www.thelancet.com/journals/lancet/article/PIIS0140-6736\(13\)62601-X/fulltext](https://www.thelancet.com/journals/lancet/article/PIIS0140-6736(13)62601-X/fulltext).

³ Human Rights Watch, "تجارة الاحتلال: كيف تسهم الأعمال التجارية بالمستوطنات في انتهاك إسرائيل لحقوق الفلسطينيين" (New York: Human Rights Watch, 2016): 25, accessed June 1, 2018, https://www.hrw.org/sites/default/files/report_pdf/israel0116_ar_web_0.pdf.

⁴ Robert D. Bullard, "Environmental Justice in the 21st Century: Race Still Matters," *Phylon* 52, no. 1, (2015): 162, accessed April 14, 2018, <http://www.jstor.org/stable/43681929>.

أكثر تحديداً، يقول بولارد إن التساهل في تنفيذ القوانين البيئية الذي يمكن هذا الاختلال يُستخدم أيضاً لاجتذاب الأعمال والتجارة ويصبُّ في مصلحة التنمية الاقتصادية على حساب المجتمعات المحلية المهمشة.⁵ لقد انخرط هذا المفهوم في سياق حركتين: حركة العدالة الاجتماعية التي تجاهلت القضايا البيئية إلى حد كبير، والحركة البيئية التي رأت بشكل عام أن القضايا الاجتماعية منفصلة عن القضايا البيئية. منذ نشوء هذه الحركة تطورت اهتماماتها إلى الصحة العامة، سلامة العمال، استخدام الأراضي، المواصلات، الإسكان، تخصيص الموارد وتمكين المجتمعات المحلية. وعلاوة على ذلك فقد تطور المفهوم ليشمل تحليل العنصرية البيئية داخل باقي بلدان العالم وفيما بينها.⁶

أحد الجوانب الرئيسية للعنصرية البيئية هو توزيع الأخطار البيئية، وترتكز هذه الأخطار على ثلاثة عوامل: وجود أراضٍ رخيصة وغياب المقاومة السياسية من المجتمع المحلي وعدم إمكانية التحرك. إن لهذه العوامل ارتباطاً وثيقاً بالعرق،⁷ وعلى الرغم من أن هذا الإطار تطور في سياق الولايات المتحدة، يمكن أيضاً تطبيقه على تحليل العنصرية البيئية في بقية أنحاء العالم. مثلاً، كثيراً ما يعتبر وجود الأراضي الرخيصة عاملاً اقتصادياً فقط، ناجماً عن كلفة الفعالية وليس عن التمييز العنصري أو الطبقي. ولكن جزءاً كبيراً من هذه الأراضي تقع في أحياء الأقليات أو في بلدان الجنوب العالمي.⁸ يقول عدة من علماء العدالة البيئية بأن تحديد أولويات كلفة الفعالية عند اختيار موقع الأخطار البيئية بدلا من الصحة والسلامة ينبع من العنصرية والاستهتار بحياة المهمشين.⁹ أما غياب المقاومة السياسية من المجتمع المحلي فأحد أسبابه أن كثيراً من بلدان الجنوب العالمي تفتقر إلى القوانين البيئية مقارنة بأغلب بلدان الشمال العالمي، ولذلك لا تستطيع شعوبها أن تحقق العدالة البيئية ضد الشركات والصناعات الوطنية والأجنبية من خلال القانون.¹⁰ وعلاوة على ذلك يتم التصدي لأشكال سلمية أخرى من المقاومة ضد تدمير البيئة بالعنف والاستخدام غير المتناسب للقوة. على سبيل المثال، المظاهرات السلمية ضد "Dakota Access Pipeline" وتنديدها للأمن المائي والتراث الثقافي لسكان داكوتا ولاكوتا الأصليين في الولايات المتحدة قوبلت بتهديدات برفع الدعاوى القضائية وبممارسات عنيفة من قبل الشرطة كاستخدامها رشاشات الفلفل، طلقات مطاطية وكراب الحراسة.¹¹ هذا واحد من أمثلة لا تحصى عن جهود السلطات في قمع مقاومة الشعوب الأصلية لكي تحمي شركاتها ومصالحها الاقتصادية. أما عن عدم إمكانية التنقل فلا يستطيع كثير من ضحايا العنصرية البيئية أن ينتقلوا من المناطق الملوثة بسبب الفقر وسياسة الإسكان التمييزية وعوامل أخرى تتعلق بالطبقة والعرق.¹²

⁵ Ibid. 163.

⁶ Ibid. 152.

⁷ Paul Mohai and Bunyan Bryant, "Environmental Injustice: Weighing Race and Class as Factors in the Distribution of Environmental Hazards," *University of Colorado Law Review* 63 no. 4, (1992): 922.

⁸ Ibid.

⁹ Rozelia S. Park, "An Examination of International Environmental Racism Through the Lens of Transboundary Movement of Hazardous Wastes," *Indiana Journal of Global Legal Studies* 5, no. 2, (1998): 660, accessed April 20, 2018, <https://www.repository.law.indiana.edu/ijgls/vol5/iss2/14>.

¹⁰ Ibid. 675.

¹¹ Kyle Powys Whyte, "The Dakota Access Pipeline, Environmental Injustice, and U.S. Colonialism," *Red Ink* 19, no. 1, (2017): 156, accessed June 15, 2018, https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=2925513.

¹² Mohai and Bryant, "Environmental Injustice," 922.

العنصرية البيئية أحد أشكال العنف، وبالتحديد العنف البطيء. ابتكر روبرت نكسون هذا المصطلح، ويصفه بأنه "العنف الذي يحدث تدريجياً وبعيداً عن الأنظار، عنف التدمير المتأخر الذي يتوزع عبر الزمان والمكان، عنف الاستنزاف الذي لا يعتبر عادة عنفاً على الإطلاق".¹³ ويربط نيكسون هذا العنف بالصراع العسكري وبالأخطار البيئية التي تؤثر على الفقراء والمهمشين بشكل غير متناسب. كما يركز على الآثار الضارة الناجمة عن الحرب على البشر والطبيعة، على سبيل المثال نجا من حرب فيتنام مئات الآلاف، توفي العديد منهم لاحقاً نتيجة تعرضهم لـ «العامل البرتقالي»، وهو نازع ورق الشجر الذي استخدمته الولايات المتحدة سلاحاً خلال الحرب. لم تندرج هذه الوفيات في إحصاءات ضحايا الحرب لأنهم لم يتوفوا أثناء سنوات الحرب الرسمية، غير أن العامل البرتقالي هذا هو مثال عن العنف البطيء الذي لا يزال يضر بالفيتناميين حتى يومنا هذا.¹⁴ تعتبر المخاطر البيئية مثل التلوث العسكري أو الصناعي عادة نتائج عرضية للحرب أو للتنمية الاقتصادية بدلا من شكل من أشكال الأسلحة والعنف. على نقيض نظرية العنف البطيء التي تعرّف أية مخاطر بيئية من صنع الإنسان كأحد أشكال العنف في حد ذاتها. كذلك يبرز مفهوم العنصرية البيئية أن هذا العنف موزع بشكل غير متساوٍ على أساس اللون والعرق. سيكشف الفصل الثاني عن طرق خضوع الفلسطينيين للعنصرية البيئية على يد الاحتلال الاسرائيلي.

العنصرية البيئية في الضفة الغربية

يستهدف هذا المشروع تحليل العنصرية البيئية في فلسطين وعلاقتها بالاحتلال. إن هذا الموضوع يتشابك تشابكا وثيقا مع عدم وجود حماية قانونية للفلسطينيين واقتدارهم لحق السيادة على الأراضي، ومع انعدام حرية التنقل، فضلا عن عنف الاحتلال واستغلال إسرائيل للأرض والشعب الفلسطيني لمصلحتها الاقتصادية. سوف يبحث هذا الفصل كيفية تجلي العنصرية البيئية في الضفة الغربية من خلال تحليل القانون الدولي والإسرائيلي، تطبيق عوامل موقع الأخطار البيئية وارتباطها بعنف الاحتلال البطيء.

يدعي بولارد أن التساهل في تنفيذ القوانين البيئية يفسح مجالاً للعنصرية البيئية. وفقاً للقانون الدولي، تتحمل سلطات الاحتلال عدة مسؤوليات تجاه الأراضي المحتلة وسكانها المدنيين. أولاً، تنص المادة 49 من اتفاقية جنيف على أنه "لا يجوز لدولة الاحتلال أن ترحل أو تنقل جزءاً من سكانها المدنيين إلى الأراضي التي تحتلها".¹⁵ على الرغم من ذلك، هنالك 127 مستعمرة إسرائيلية في الضفة الغربية، تشكل حوالي 63 في المائة من المنطقة جيم.¹⁶ ثانياً، حسب اتفاقية جنيف، لدى سلطة الاحتلال أيضاً عدة مسؤوليات بيئية، بما في ذلك حماية الأعيان والمواد التي لا غنى عنها لبقاء السكان المدنيين مثل "المواد الغذائية والمناطق الزراعية التي تنتجها

¹³ Robert Nixon, *Slow Violence and the Environmentalism of the Poor* (Cambridge: Harvard University Press, 2011), 2.

¹⁴ Ibid. 13.

¹⁵ اتفاقية جنيف الرابعة، 49 (August 12, 1949), accessed May 28, 2018, <https://www.icrc.org/ar/resources/documents/treaty/geneva-convention-iv-on-civilians>.

¹⁶ UN Human Rights Council, *Israeli settlements in the Occupied Palestinian Territory*, A/HRC/34/39 (March 16, 2017): 5, accessed May 28, 2018, http://www.ohchr.org/EN/HRBodies/HRC/RegularSessions/Session34/Documents/A_HRC_34_39_AUV.docx.

والمحاصيل والماشية ومرافق مياه الشرب وشبكاتهما وأشغال الري".¹⁷ إن هذه القوانين مترابطة بسبب الخطر الشديد الذي تشكله المستعمرات الإسرائيلية على حماية البيئة الفلسطينية. فقد أفاد بتسليم، المركز الإسرائيلي للمعلومات عن حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، بأنه في أغلب المستعمرات في الضفة الغربية بالكاد يوجد أي معالجة للمياه العادمة، الذي يلوث بدوره المياه الجوفية والأراضي الزراعية كما يجذب الحشرات والقوارض ويسبب روائح كريهة وأمراضاً. هذا التلوث غير قانوني بموجب القانون الدولي والإسرائيلي كليهما، ولكن وزارة حماية البيئة الإسرائيلية اتخذت فقط 53 تدبير إنفاذ ضد عدم كفاية معالجة المياه العادمة في المستعمرات بين عام 2000 و2008، مقارنة بـ 230 تدبير إنفاذ ضد انتهاك للقانون داخل إسرائيل في عام 2006 بمفرده.¹⁸ كما تخضع إمكانية تحقيق الفلسطينيين للعدالة البيئية ومحاسبة إسرائيل عن هذا التساهل في تنفيذ القوانين البيئية لقيود شديدة بسبب اتفاقية أوسلو. حيث تنص الاتفاقية على أن "المحاكم الفلسطينية والسلطات القضائية لديها ولاية تجاه الدعاوى المدنية إذا كان الطرف الإسرائيلي مدعى عليه في دعوى وقبل بمثل هذه الولاية بالإشعار كتابة إلى المحكمة الفلسطينية أو السلطة القضائية".¹⁹ علاوة على ذلك أفادت جمعية حقوق إنسان فلسطينية تدعى "الحق" بأن الفلسطينيين مترددون في تحقيق العدالة من محاكم إسرائيلية، لأنهم يدعون التحيز المؤسسي ضد الأطراف الفلسطينية والأهم من ذلك لأنهم يرون فيه شرعية وتطبيع للاحتلال.²⁰ كما تدعي الحق أنه "ليس للفلسطينيين وسائل فعالة لإحراز العدالة البيئية محلياً من خلال جلسات استماع مستقلة وغير متحيزة" وأن هذا هو السبب الرئيسي في العنصرية البيئية في الضفة الغربية.²¹

إضافة إلى ذلك يمكن تطبيق العوامل الثلاثة التي يقوم موقع الأخطار على أساسها على حالة الضفة الغربية، حيث ترتبط هذه العوامل ارتباطاً مباشراً بالاحتلال. أولاً، يوضح مثال المستعمرات كيف يجذب وجود الأراضي الرخيصة أخطاراً بيئية. فقد أنشئت المستعمرات من خلال الاستيلاء العسكري على أراضٍ فلسطينية خاصة "لأسباب أمنية"،²² بعدها تصبح الأراضي رخيصة ومدعومة من قبل مستوطنين وشركات إسرائيلية ومتعددة الجنسيات بفضل الحوافز الاقتصادية من الحكومة الإسرائيلية وقروض البنوك الإسرائيلية بشروط مواتية. اعتباراً من عام 2018، تعرف 93 من 127 مستعمرة بقائمة مناطق ذات أولوية وطنية بسبب تصنيفها كمناطق معرضة لارتفاع مستوى الخطر،²³ وتشمل هذه القائمة أيضاً 10 من الـ 20 مستعمرة صناعية في الضفة الغربية التي تعترف إسرائيل

¹⁷ Benjamin Pontin, Vito De Lucia and Jesus G. Rus, *الظلم البيئي في الأرض الفلسطينية المحتلة* (Ramallah: Al-Haq, 2015): 37, accessed May 28, 2018, http://www.alhaq.org/publications/publications-index?task=callelement&format=raw&item_id=114&element=ccf2cb04-b369-4c69-95ac-d98d18a027e1&method=download.

¹⁸ Eyal Hareuveni, *Foul Play: Neglect of Wastewater Treatment in the West Bank* (Jerusalem: B'tselem: 2009), accessed May 29, 2018, https://www.btselem.org/download/200906_foul_play_eng.pdf.

¹⁹ Pontin, De Lucia and Rus, *الظلم البيئي*, 21

²⁰ Ibid. 19.

²¹ Ibid. 9.

²² Adam Aloni, *Expel and Exploit: The Israeli Practice of Taking over Rural Palestinian Land* (Jerusalem: B'tselem, 2016): 12, accessed May 29, 2018, https://www.btselem.org/sites/default/files/sites/default/files/201612_expel_and_exploit_eng.pdf.

²³ The Israeli Prime Minister's Office, *Localities with National Priority* (2018), accessed May 29, 2018, https://www.gov.il/BlobFolder/pmopolicy/dec3738_2018/he/leumiN070518.pdf.

بها رسمياً.²⁴ حسب وزارة الاقتصاد والصناعة الإسرائيلية، تعد هذه المناطق محرك النمو في الاقتصاد الإسرائيلي،²⁵ وتحصل الصناعات والشركات التي تعمل في هذه المناطق على عدة منافع اقتصادية بما فيها ضرائب منخفضة ومنح الأصول الثابتة ومنح التوظيف ومنح البحث والتطوير.²⁶ علاوة على ذلك تمنح أغلب البنوك التجارية الإسرائيلية قروضاً بشروط مواتية لشراء وبناء منازل ومشاريع بناء أخرى في المستعمرات.²⁷ هكذا تكون معظم أراضي الضفة الغربية التي وصلت إلى الأعمال الإسرائيلية والدولية رخيصة بسبب المزيج بين استيلاء الحكومة عليها والفوائد الاقتصادية للشركات التي تريد إقامة أعمال تجارية هناك وبين قروض البنوك بشروط مواتية. أما العامل الثاني، غياب المقاومة السياسية من المجتمع المحلي، فتتعلق هذه بعدم حصول الفلسطينيين على العدالة البيئية كما ذكر سابقاً، وردود الاحتلال العنيفة على وسائل المقاومة الأخرى. إن أحد الأمثلة التاريخية على المقاومة ضد مصادرة أراضي فلسطينية هو يوم الأرض الفلسطيني في 30 آذار عام 1976 الذي نظم استجابة لقرار مديرية أراضي إسرائيل بمصادرة عشرين ألف دونم أرض من القرى الفلسطينية حول المدينة الإسرائيلية كرمينيل. وقد قوبلت المظاهرات السلمية بوجود مكثف للشرطة والجيش الذين أطلقوا النار على المتظاهرين وقتلوا ستة منهم.²⁸ في يوم الأرض عام 2018 قتل 17 متظاهر وجرح أكثر من 1400.²⁹ إذاً يتم قمع المقاومة عن طريق غياب وسائل فعالة لإحراز العدالة خلال القانون وردود الفعل المفرطة في العنف على وسائل المقاومة الأخرى. أما فيما يخص عدم إمكانية التحرك فإن جدار الفصل العنصري، الحواجز، بطاقات الهوية، نظام الطرق والتصاريح التي يفرضها الاحتلال كلها تحد من حرية تنقل الفلسطينيين وتطوقهم في أماكن محفوفة بالخطر.³⁰ وتشكل المستعمرات في الضفة الغربية خطر بيئي في حد ذاته بسبب عدم معالجتها للمياه العادمة، تسببها في نضوب إمدادات المياه الجوفية، تلوث الهواء وانتشار النفايات. وهكذا، تتسبب هذه العوامل في خلق أخطار بيئية تهدد حياة الفلسطينيين.

إن انتقال مصانع إسرائيلية وأخطار بيئية أخرى إلى الضفة الغربية مثالاً واضح على العنصرية البيئية. هذه العنصرية عنيفة بطبيعتها، وهي نوع من العنف البطيء الذي يتوزع عبر الزمان. كتب نكسون في كتابه "العنف البطيء وحماية البيئة للفقراء" عن مجتمعات محلية تتشرد دون تنقل بسبب فقدان الأراضي والموارد فيها الناجم عن مشاريع عسكرية أو صناعية.³¹ في حالة الضفة الغربية، فقد الفلسطينيون أراضيهم إلى بناء جدار الفصل العنصري والمستعمرات السكنية، العسكرية والصناعية وقد صادرت الشركات والحكومة الإسرائيلية مواردهم الطبيعية. أعقب ذلك التلوث التدريجي للأراضي الزراعية ومياه الشرب والهواء ما أدى إلى خسارة سبل العيش

²⁴ The Israeli Ministry of Economy and Industry, *Procedure for Granting Grants in Judea and Samaria*, (August 17, 2017), accessed May 29, 2018,

http://www.economy.gov.il/Legislation/Procedures/Procedures/plants_grants_judea_samaria_procedure.pdf.

²⁵ The Israeli Ministry of Economy and Industry, "Development Zone Industry Promotion," accessed May 29, 2018, <http://economy.gov.il/ENGLISH/INDUSTRY/DEVELOPMENTZONEINDUSTRYPROMOTION/ZONEINDUSTRYINFO/Pages/default.aspx>.

²⁶ The Israeli Ministry of Economy and Industry; *An Introduction to Enlightened Direct Foreign Investment in Israel* (2017), accessed June 1, 2018, <http://investinisrael.gov.il/resources/2017/SHINE.pdf>.

²⁷ The Coalition of Women for Peace, *Financing the Israeli Occupation* (Tel Aviv: The Coalition of Women for Peace, 2010).

²⁸ Ilan Pappé, *The Forgotten Palestinians: A History of Palestinians in Israel* (New Haven: Yale University Press, 2011), 130-131.

²⁹ "Israeli army kills 17 Palestinians in Gaza Protests," *Al Jazeera*, March 31, 2018.

³⁰ Julie Peteet, *Space and Mobility in Palestine* (Bloomington: Indiana University Press, 2017). 2.

³¹ Robert Nixon, *Slow Violence*, 19.

وزيادة معدلات الأمراض كما أضعف احتمالات قيام دولة فلسطينية مستقلة من خلال تدمير مواردها. على الرغم من أن التلوث لا يعتبر عنفاً عادة فإن العنصرية البيئية تُستخدم كسلاح يصرّ بالفلسطينيين ويعزز الاحتلال في آنٍ واحد. مثال المستعمرات الصناعية يفضح العنصرية البيئية في الضفة الغربية بوضوح، فهي تفسد البيئة والصحة الفلسطينية وتبعد الأخطار البيئية عن المناطق الإسرائيلية كما تدعم الاقتصاد الإسرائيلي في الوقت نفسه. سوف تركز الفصول التالية على دراستين فرديتين: نيتزاني شالوم في طولكرم وبركان في سلفيت.

دراسة الحالة: منطقة صناعية مستعمرة "نيتزاني شالوم"

تعد مستعمرة "نيتزاني شالوم" (المعروفة أيضاً باسم "مسيلي") بين أشهر المستعمرات الصناعية في منطقة طولكرم في الضفة الغربية. تتعامل في المستعمرة 12 شركة، منها مصنع "جيشوري" الذي يصنع الأسمدة، المبيدات الحشرية ومواد كيميائية أخرى للزراعة. كان "جيشوري" في الأصل واقعاً في المدينة الإسرائيلية "كفار سابا" ولكنه أُغلق في عام 1982 بعد أن رفع سكان كفار سابا، بالتعاون مع وزارة حماية البيئة، دعوى قضائية ضد المصنع على أساس تأثيره الضار على البيئة، الزراعة والصحة العامة.³² على الرغم من ذلك فقد أُعيد فتح المصنع في مدينة طولكرم في عام 1987 بعد مصادرة قوات الاحتلال أراضي فلسطينية خاصة لبناء المستعمرة.

منذ ذلك الحين أصبحت إحصاءات السرطان والربو وأمراض العيون والأمراض التنفسية في طولكرم من أعلى النسب في الضفة الغربية. تدعي عدة دراسات أن ارتفاع معدل انتشار الأمراض هذا إنما هو نتيجة مباشرة لكون المستعمرة الصناعية قريبة³³. كثيراً ما تتخلص المصانع من نفاياتها السامة وتنفث السوائل الضارة في منطقتها المحيطة، مما يسفر عن تلوث الأرض والمياه الجوفية وبالتالي فقدان الأراضي الزراعية. إضافة إلى ذلك يعد تلوث الهواء في المنطقة حاداً، فقال موظفو المدارس المحيطة بالمستعمرة أن الطلاب لا يستطيعون أن يغادروا المباني المدرسية في فترات الراحة بسبب التلوث والرائحة الكريهة.³⁴ حسب منظمة الحق، "باستخدام عبارات الأمر القضائي الإسرائيلي، لا يسمح للمنشآت منقولة الموقع بالعمل حين تهب الرياح باتجاه الجهة الإسرائيلية من الخط الأخضر."³⁵ لدى عمال المصانع والسلطات المحلية الفلسطينية معلومات محدودة جداً عن المواد الكيميائية المحددة التي تصنع في المستعمرة ولذلك لا يدركون ما الذي يلوث المياه والهواء والأراضي حولها.³⁶ من المفارقات أيضاً وجود شركتين على الأقل في نيتزاني شالوم متخصصتين في معالجة المياه العادمة. من خدمات شركات المستعمرة الأخرى إنتاج مركبات عسكرية، معدن لاستخدامات البنية التحتية والأمن، وتدوير النفايات.³⁷

³² Chaitin et. al., "Palestinian and Israeli Cooperation," 532.

³³ Cato and Nagra, "Environmental and public health effects."

³⁴ Meriel Watts, Tanya Lee and Heather Aidy, *Pesticides and Agroecology in the Occupied West Bank*, PAN Asia Pacific and Arab Group for the Protection of Nature, 2016. 16. <http://www.apnature.org/sites/default/files/pestiagroeco-palest-web.pdf>. Accessed June 6, 2018.

³⁵ Pontin, De Lucia and Rus, *الظلم البيئي*, 23.

³⁶ Watts, Lee and Aidy, *Pesticides and Agroecology*, 13.

³⁷ Jad Isaac and Khaldoun Rishmawi, *Status of the Environment in the State of Palestine 2015*, Bethlehem: Applied Research Institute-Jerusalem, 2015. 124. https://www.arij.org/files/arijadmin/2016/SOER_2015_final.pdf. Accessed June 5, 2018.

علاوة على اختراق المستعمرة للقانون الدولي، لا تحاسب الشركات التي تعمل في نيتزاني شالوم عن انتهاكها للقانون الإسرائيلي. فقد أفاد مراقب الدولة الإسرائيلي أن أغلب المصانع قد بنيت دون موافقة، وليس لدى أيّ منها التراخيص اللازمة، ولكن عملها ما يزال قائماً³⁸. كما زعم أحد أصحاب الأراضي المصادرة فايز الطنيب أنه حاول أن يقاضي صاحب جيشوري في محكمة إسرائيلية بعد تسميم مزرعته الناجم عن المياه العادمة القادمة من المصانع، ولكن المحكمة أخبرته أولاً أنه لا يستطيع أن يقاضي المصنع لأنه فلسطيني ولأنه يخضع للاختصاص الإسرائيلي. بعد حصوله على الدعم من مزارع إسرائيلية أخبرته المحكمة أن القوانين البيئية الإسرائيلية لا تنطبق على الشركة لأنها واقعة في الضفة الغربية.³⁹ على الرغم من العقوبات التي يواجهها الفلسطينيون في تحقيق العدالة البيئية من خلال النظام القضائي الإسرائيلي كانت هناك حالات تحققت فيها العدالة من خلال القانون الدولي. ففي عام 2016 قدمت سلطة جودة البيئة الفلسطينية إشعاراً لأمانة اتفاقية بازل ضد نيتزاني شالوم بعد أن تم القبض على شاحنتين من المستعمرة وهما تحملان النفايات السامة على طريق مدفن قمامة "زهرة الفنجان" في جنين. إن هذا الأمر غير قانوني حسب القانون البيئي الفلسطيني، اتفاقية أوسلو واتفاقية بازل على السواء. وزعمت إسرائيل أن النفايات لا تخصها لأنها من مستعمرة، ولكن أمانة اتفاقية بازل رفضت هذا الادعاء لأن المستعمرة ما زالت تخضع للاختصاص الإسرائيلي وتمنع الاتفاقية حركة نفايات من اختصاص واحد إلى آخر دون إذن. أخيراً، حصلت فلسطين على اتفاق مع إسرائيل على نقل النفايات عبر الخط الأخضر ولكن طلبت إسرائيل من الأمانة أن لا تنشر القضية على موقع اتفاقية بازل على الإنترنت⁴⁰.

إن المستعمرة نيتزاني شالوم حالة من العنصرية البيئية. التساهل في تنفيذ القوانين التي تخضع لها المستعمرة يصب في مصلحة الإسرائيليين على حساب البيئة في الضفة الغربية وصحة وسلامة الفلسطينيين. أوضحت القضية في عام 1982 أن السلطات الإسرائيلية تنتظر للأضرار البيئية الناجمة عن شركة جيشوري على أنها غير مقبولة، ولكنها لا تغلق مستعمرة نيتزاني شالوم غير القانونية عندما تؤثر على المجتمعات المحلية الفلسطينية. كما أنها تجني ثمار شركات المستعمرة مثل تصنيع معدن لتشييد الحواجز والبنية التحتية وإنتاج المركبات العسكرية،⁴¹ كل ذلك يساهم في انعدام حرية تنقل الفلسطينيين وانتشار سيطرة القوات الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية. ترتكب نيتزاني شالوم عنفاً بطيئاً عبر الزمن غير أن ضحايا الأمراض الناجمة عن تلوث المصانع لا يدرجون في الإحصاءات الرسمية للقتلى والجرحى على يد الاحتلال. علاوة على ذلك، يهدد تدمير الأراضي الزراعية سبل الرزق سواء الآن أو في المستقبل ولذلك يضر بإمكانية إقامة دولة فلسطينية قادرة على البقاء.

³⁸ Human Rights Watch, تجارة الاحتلال, 105

³⁹ Ann Wright, "A Good Piece of Land," *Palestine Journals*, accessed June 5, 2018, http://palestinejournals.co.uk/?page_id=15.

⁴⁰ "Environmental Rights Case Succeeds in Holding Israel Accountable for Illegal Hazardous Waste Dumping in Palestine," *Al Haq*, August 25, 2016, accessed June 5, 2018, <http://www.alhaq.org/advocacy/topics/housing-land-and-natural-resources/1066-environmental-rights-case-succeeds-in-holding-israel-accountable-for-illegal-hazardous-waste-dumping-in-palestine>.

⁴¹ Brand Industries Group, *Investor Presentation 2016*, accessed June 5, 2018, http://www.brand-industries.com/brand_eng.pdf.

دراسة الحالة: منطقة صناعية مستعمرة "بركان"

أنتقل الآن إلى دراسة الحالة الثانية وهي حالة المنطقة الصناعية بركان. على عكس مستعمرة نيتزاني شالوم، تعترف إسرائيل بمستعمرة بركان رسمياً، وهي إحدى المناطق ذات الأولوية الوطنية في الضفة الغربية، مما يعني أنها تتلقى عدة فوائد اقتصادية من الحكومة الإسرائيلية. أسست المستعمرة عام 1982 بعد مصادرة الجيش الإسرائيلي أراضي زراعية فلسطينية بحجة أن الأراضي لم تكن خاصة.⁴² اليوم، تكلفة الإيجار في بركان أدنى بكثير مقارنة بمناطق صناعية في إسرائيل - هي بين 24 و27 شيكل لكل متر مربع في بركان و43 شيكل في قيصرية وروش حايين، اللتين تقعان على الجهة الأخرى من الخط الأخضر. أما الضرائب السنوية فهي 47 شيكل لكل متر مربع في بركان و43 شيكل في روش حايين.⁴³ قالت منظمة حقوق الإنسان "Human Rights Watch" إن هذه الأسعار المنخفضة نتيجة مباشرة لمزيج من مصادرة إسرائيل الأراضي بدلاً من شرائها، والفوائد الاقتصادية التي تمنحها الحكومة الإسرائيلية للأعمال التجارية في المستعمرات من خلال اعتمادها سياسة "المناطق ذات الأولوية الوطنية". بالرغم من أن الضرائب في المنطقة الصناعية بركان أقل من نظيرتها على الجانب الآخر من الخط الأخضر، فلا تزال تواصل الإسهام في تنمية اقتصاد مستعمرة بركان. في عام 2014 حصلت المستعمرة على 350,000 شيكل من ضرائب شركات المنطقة الصناعية، ذلك يمثل 6 في المائة من ميزانيتها السنوية. دفعت مصانع بركان أيضاً جزء كبيراً من المليون شيكل التي تخصصها المستعمرة لضرائب المياه.⁴⁴ لهذه الأسباب تعد بركان والمستعمرات الصناعية الأخرى مصدر دخل مهم لاقتصاد المستعمرات وإسرائيل عموماً.

المكاسب الاقتصادية التي تنتجها بركان تدفع ثمنها الصحة والبيئة الفلسطينية. فيعتبر تسرب المياه العادمة أحد أشد آثار المستعمرة ضرراً على الأراضي حولها. على سبيل المثال، كشفت دراسة عام 2011 أن مستويات الرصاص في المياه العادمة في منطقة بركان أعلى بـ 50 في المائة من مواصفات منظمة الصحة العالمية.⁴⁵ التلوث بالرصاص موضوع محوري في العنصرية البيئية لأنه واسع النطاق وبالغ الخطورة. من آثار الرصاص على الأطفال تقليص الذكاء والإبداع والقدرة على اتخاذ القرارات بالإضافة إلى إضعاف المهارات اللغوية وتقصير فترة الانتباه وخطر متزايد من السلوك العدواني واضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط.⁴⁶ بالإضافة إلى مستويات الرصاص العالية خلصت الدراسة إلى أن مستويات المغنيسيوم، السلفات، الأمونيا، البايكربونات، النترات، الصوديوم، البوتاسيوم، الكروميوم، الحديد والكاديوم أعلى بكثير من مواصفات منظمة الصحة العالمية.⁴⁷ تلوث هذه المعادن مياه الشرب والتربة

⁴² Human Rights Watch، 75، تجارة الاحتلال،

⁴³ Ibid. 107.

⁴⁴ Ibid. 8.

⁴⁵ نهاية رفيق يوسف عبد الفتاح، "أثر المياه العادمة لمستعمرتي أريئيل وبركان في محافظة سلفيت"، (رسالة الماجستير - جامعة النجاح الوطنية): 101، accessed June 8, 2018, https://scholar.najah.edu/sites/default/files/all-thesis/nhy_rfyq_ywsf_bd_lfth.pdf.

⁴⁶ Carla Campbell et. al., "A Case Study of Environmental Injustice: The Failure in Flint," *International Journal of Environmental Research and Public Health*, 2016, 13, no. 10: 952-53, accessed June 12, 2018, <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC5086690/>.

⁴⁷ نهاية رفيق يوسف عبد الفتاح، "أثر المياه العادمة"، 101.

وتعرض السكان المحليين لمخاطر الإصابة بأمراض عدة، منها السالمونيلا، الشيغيلا، الإشريكية القولونية، وجميعها يمكن أن تكون مميتة، إضافة إلى خطر الإصابة بالسرطان وأمراض الجهاز التنفسي وأمراض الدم.⁴⁸ على غرار نيتزاني شالوم، الفلسطينيون مقيدون بشدة في قدرتهم على تحقيق العدالة البيئية ضد مستعمرة بركان من خلال القانون الإسرائيلي، على الرغم من أنها غير قانونية بموجب القانون الدولي. وعضوا عن المجاهرة بذلك، ركزت المقاومة على مقاطعة الشركات التي تعمل في بركان والمستعمرات الصناعية بشكل عام. وفي حين أن حركة المقاطعة أدت دوراً هاماً في انخفاض الاستثمار الأجنبي المباشر لإسرائيل بنسبة 46 بالمائة بين عامي 2013 و2014، فقد ازداد الاستثمار الأجنبي المباشر بأكثر من ثلاثة أضعاف منذ ذلك الوقت.⁴⁹

يعكس هذا الوضع الذي وصفه بولارد، وضع توزيع الأعباء والمزايا البيئية غير المتكافئ، وتنمية الاقتصاد على حساب المجتمعات المحلية المهمشة، حيث تنفذ مؤسسات حكومية وقانونية واقتصادية وسياسية وعسكرية هذا الاختلال. إذ فإن مستعمرة بركان قائمة بفضل رخص الأراضي التي تستولي عليها السلطات الإسرائيلية وضرائبها المنخفضة وغياب المقاومة السياسية من المجتمع المحلي لعدم وجود حماية قانونية للفلسطينيين وكذلك النجاح المحدود في مقاطعة المستعمرة ومحدودية حق التنقل الذي يحبس الفلسطينيين في بيئة خطيرة ويحد من نشاط المقاومة الفلسطينية الفعالة ضد هذه العنصرية البيئية والاحتلال الذي ينفذها. يعد تلوث المياه والترربة والأمراض الناجمة عن هذه الأخطار البيئية أحد أشكال العنف البطيء، الذي يحدث تدريجياً ومع مرور الوقت ويلوث الأراضي وينشر المرض بين الناس، الآن وفي الأجيال المقبلة. وبسبب طبيعته البطيئة بالكاد يبدو عنيفاً مقارنة بعنف الاحتلال المباشر والأكثر بروزاً.

خاتمة

إن المستعمرات الصناعية حالة واضحة من العنصرية البيئية ضد الفلسطينيين على يد الاحتلال الإسرائيلي. تدل قضية كفار سابا على أن إسرائيل تعتبر تلوث مصنع جيشوري أمراً غير مقبول لمواطنيها ولكنها لم تقم بأي مجهود لتغلق المصنع عندما كان المصابون به فلسطينيين، على الرغم من أن المستعمرة التي أقيم فيها غير قانونية بموجب القانون الدولي والإسرائيلي كليهما. إضافة إلى ذلك تمنح الحكومة فوائد اقتصادية عدة لمستعمرات صناعية، الأمر الذي جعل المصانع في الضفة الغربية أرخص في تشغيلها من المناطق الصناعية في إسرائيل. كما تساهم السلطات الإسرائيلية في التوزيع غير المتكافئ للأعباء البيئية عن طريق نقلها إلى الضفة الغربية وجني ثمارها الاقتصادية في الوقت نفسه. عواقب هذه المستعمرات وخيمة وطويلة الأمد، تضر بنوعية حياة المجتمعات المحلية المتأثرة ومصادر المياه وخصوبة تربتها بعدة طرق. أما فيما يخص الجانب الصحي فقد أثرت المستعمرات الصناعية على الصحة البدنية كما هو واضح في الزيادة الملحوظة لمعدلات السرطان والأمراض التنفسية والصحة العقلية، على سبيل مثال التسمم بالرصاص الذي يقلص الذكاء، الإبداع والقدرة على اتخاذ القرارات لدى الأطفال. كما تقترن مصادر الأراضي غير القانونية بتلوث التربة والهواء

⁴⁸ Ibid. 109.

⁴⁹ Zhan et al., *World Investment Report 2018* (New York: United Nations Conference on Trade and Development, 2018):184, accessed June 13, 2018, http://unctad.org/en/PublicationsLibrary/wir2018_en.pdf.

والمياه وتدمير البيئة ومصادر رزق للفلسطينيين الآن وفي المستقبل وتحد بقاء دولة فلسطينية مستقلة من خلال استنفاد واستنزاف مواردها الطبيعية.

لقد انتشرت العنصرية البيئية في الضفة الغربية بفضل التساهل في تنفيذ القانون الدولي وغياب القوانين البيئية الفلسطينية والقيود التي تحول دون تمكّن الفلسطينيين من تحقيق العدالة البيئية عن طريق القانون الإسرائيلي. علاوة على ذلك هي ناجمة عن الاحتلال وعدم سيادة الفلسطينيين على أراضيهم وسياسات قمع وحد حرية الحركة. مستعمرتا نيتزاني شالوم وبركان مثالان من عدة أمثلة عن المستعمرات الصناعية التي تستغل الشعب الفلسطيني وأرضه لتخدم اقتصادها دون عواقب قانونية. غير أن النجاح الفلسطيني في أمانة اتفاقية بازل يزرع الأمل في إمكانية محاسبة إسرائيل على عنصريتها البيئية، ودور المجتمع الدولي في تحقيق العدالة البيئية في فلسطين. بنفس الطريقة التي انخرط فيها مفهوم العنصرية البيئية مع حركة العدالة الاجتماعية والحركة البيئية، فإن كشف العنصرية البيئية التي يمارسها الاحتلال الإسرائيلي بحق الفلسطينيين قد يجذب تضامنا دوليا أوسع مع القضية الفلسطينية.

49. (August 12, 1949). اتفاقية جنيف الرابعة. ¶
<https://www.icrc.org/ar/resources/documents/treaty/geneva-convention-iv-on-civilians>
- نهاية رفيق يوسف عبد الفتاح. "أثر المياه العادمة لمستعمرتي أريئيل وبركان في محافظة سلفيت." رسالة الماجستير, جامعة النجاح الوطنية, 2011. https://scholar.najah.edu/sites/default/files/all-thesis/nhy_rfyq_ywsf_bd_lfth.pdf.
- Al Haq. "Environmental Rights Case Succeeds in Holding Israel Accountable for Illegal Hazardous Waste Dumping in Palestine." August 25, 2016.
- Al Jazeera. "Israeli army kills 17 Palestinians in Gaza Protests." March 31, 2018.
- Aloni, Adam. *Expel and Exploit: The Israeli Practice of Taking over Rural Palestinian Land* (Jerusalem: B'tselem, 2016)
https://www.btselem.org/sites/default/files/sites/default/files2/201612_expel_and_exploit_eng.pdf.
- Brand Industries Group. *Investor Presentation 2016*. http://www.brand-industries.com/brand_eng.pdf.
- Bullard, Robert D. "Environmental Justice in the 21st Century: Race Still Matters." *Phylon* 52, no. 1, (2015): 162. <http://www.jstor.org/stable/43681929>.
- Campbell, Carla, Rachael Greenberg, Deepa Mankikar and Ronald D. Ross. "A Case Study of Environmental Injustice: The Failure in Flint." *International Journal of Environmental Research and Public Health* (2016).13, no. 10. 951-962.
<https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC5086690/>.
- Cato, Danya M. and Ruhan Nagra. "Environmental and public health effects of polluting industries in Tulkarm, West Bank, occupied Palestinian territory: an ethnographic study." *The Lancet* 382. [https://www.thelancet.com/journals/lancet/article/PIIS0140-6736\(13\)62601-X/fulltext](https://www.thelancet.com/journals/lancet/article/PIIS0140-6736(13)62601-X/fulltext). Accessed June 5, 2018.
- Chaitin, Julia, Fida Obeidi, Sami Adwan, and Dan Bar-On. "Palestinian and Israeli Cooperation in Environmental Work during the "Peace Era"." *International Journal of Politics, Culture, and Society* 17, no. 3 (2004): 523-42.
- The Coalition of Women for Peace. *Financing the Israeli Occupation*. Tel Aviv: The Coalition of Women for Peace, 2010.
- Hareuveni, Eyal. *Foul Play: Neglect of Wastewater Treatment in the West Bank*. Jerusalem: B'tselem: 2009. https://www.btselem.org/download/200906_foul_play_eng.pdf.
- Human Rights Watch. *تجارة الاحتلال: كيف تسهم الأعمال التجارية بالمستوطنات في انتهاك إسرائيل لحقوق الفلسطينيين*. New York: Human Rights Watch, 2011: 25.
https://www.hrw.org/sites/default/files/report_pdf/israel0116_ar_web_0.pdf.
- Isaac, Jad and Khaldoun Rishmawi. *Status of the Environment in the State of Palestine 2015*. Bethlehem: Applied Research Institute-Jerusalem, 2015.
https://www.arij.org/files/arijadmin/2016/SOER_2015_final.pdf. Accessed June 5, 2018.

The Israeli Ministry of Economy and Industry. *An Introduction to Enlightened Direct Foreign Investment in Israel* (2017). <http://investinisrael.gov.il/resources/2017/SHINE.pdf>.

The Israeli Ministry of Economy and Industry. "Development Zone Industry Promotion." <http://economy.gov.il/ENGLISH/INDUSTRY/DEVELOPMENTZONEINDUSTRYPROMOTION/ZONEINDUSTRYINFO/Pages/default.aspx>.

The Israeli Ministry of Economy and Industry. *Procedure for granting grants in Judea and Samaria* (August 17, 2017). http://www.economy.gov.il/Legislation/Procedures/Procedures/plants_grants_judea_samaria_procedure.pdf.

The Israeli Prime Minister's Office, *Localities with National Priority* (2018). https://www.gov.il/BlobFolder/pmopolicy/dec3738_2018/he/leumiN070518.pdf.

Mohai, Paul and Bunyan Bryant. "Environmental Injustice: Weighing Race and Class as Factors in the Distribution of Environmental Hazards." *University of Colorado Law Review* 63 no. 4, (1992): 922.

Nixon, Robert. *Slow Violence and the Environmentalism of the Poor*. Cambridge: Harvard University Press, 2011.

Pappé, Ilan. *The Forgotten Palestinians: A History of Palestinians in Israel*. New Haven: Yale University Press, 2011.

Park, Rozelia S. "An Examination of International Environmental Racism Through the Lens of Transboundary Movement of Hazardous Wastes." *Indiana Journal of Global Legal Studies* 5, no. 2. <https://www.repository.law.indiana.edu/ijgls/vol5/iss2/14>. Accessed 20/04.

Peteet, Julie. *Space and Mobility in Palestine*. Bloomington: Indiana University Press, 2017.

Pontin, Benjamin, Vito De Lucia and Jesus G. Rus. *الظلم البيئي في الأرض الفلسطينية المحتلة*. Ramallah: Al-Haq, 2015.

UN Human Rights Council. Israeli settlements in the Occupied Palestinian Territory. A/HRC/34/39 (Mar. 16, 2017): 5. http://www.ohchr.org/EN/HRBodies/HRC/RegularSessions/Session34/Documents/A_HRC_34_39_AUV.docx.

Watts, Meriel, Tanya Lee and Heather Aidy. *Pesticides and Agroecology in the Occupied West Bank*. PAN Asia Pacific and Arab Group for the Protection of Nature. 2016. <http://www.apnature.org/sites/default/files/pestiagroeco-palest-web.pdf>.

Whyte, Kyle Powys. "The Dakota Access Pipeline, Environmental Injustice, and U.S. Colonialism." *Red Ink* 19, no. 1 (2017): 156. https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=2925513.

Wright, Ann. "A Good Piece of Land." *Palestine Journals*. http://palestinejournals.co.uk/?page_id=15.

Zhan et al., *World Investment Report 2018*, New York: United Nations Conference on Trade and Development, 2018. 184. http://unctad.org/en/PublicationsLibrary/wir2018_en.pdf. Accessed June 13, 2018.